# بعد أن تحوّل الأردن إلى سجن كبير ..

بقلم محمد النقاش

عندما كتبنا ما كتبنا عن احداث الاردن في العدد الماضي ، وارسلناه الى المطبعة في السابع عشر من الشهر الفائت ، لم يكن الموقف قد انجلى ، ولا تكشف عما تكشف عنه فيما بعد .

فالبرغم مما اخذناه على الحركة التي تزعمها الملك ، من منافاة لكل ديمقراطية وتقدمية ، وجدنا لها جانبا صالحا . وهي انها صراع داخلي صرف ، على النفوذ والحكم .

لكن ثبت فيما بعد ، ان هذا الصراع ـ وهو الاساس ـ لم يكن صرفا الى الحد الذي تخيلناه ، بل الذي شئنا ان نتوسمه في ملك عربي شاب اشترك في معركة تحرير بلاده اشتراكا بارزا . ثبت من تصريحات رئيسي الاركان السابقين علي ابو نوار وعلي الحياري ، ومن خطب الملك نفسه ، ثم من المجرى الذي اتخذته الحركة ـ النكسة ، ان عدة شوائب ومضاعفات خالطت الحركة . وظهر انها رجعية نموذجية ، في الحقل الداخلي ، والحقل العربي ، والحقل الخارجي ، على السواء .

ففي الحقل الداخلي ، بسط جناح حكم تعسفي ارهابي مقنط : احكام عرفية ، منع للتجول في الليل والنهار ، حاكم عسكري عام له نواب في كل منطقة ، اعتقالات بالمئات والالوف . حل لكل الاحزاب الاردنية ، تلك التي نظمت النضال الوطني في الاردن ، وفازت في الانتخابات ، والفت ـ لاول مرة ـ حكومة ديمقراطية حقا . فصل الحزبيين جميعا من دوائر الدولة ومدارسها . فاذا الاردن يتحول بين عشية وضحاها الى سجن كبير ، واذا الحرية والكرامة الانسانية والقيم الوطنية تهدر جميعا ، تحت ستار مكافحة الشيوعية .

وفي الحقل العربي : على الرغم من تصريحات متناقضة ، صدرت عن اعلى المقامات ، حول بقاء الاردن في الركب العربي المتحرر ، وحرصه على مباديء اجتماع القاهرة الرباعي الاخير ، ظهر ان الحملات تشن على العملاء ( كذا ) المصريين والسوريين ، وعلى «دسائسهم ومؤامراتهم» ... ومنعت الصحف المصرية والسورية ، وطرد المراسلون المصريون ... ثم فرضت قيود على اجهزة الراديو ، لتحريم الاستماع الى القاهرة وصوت العرب او تقييده ما امكن ... فاذا الحلفاء والاصدقاء المصريون والسوريون ـ عدا انهم اشقاء ـ يصبحون في حكم الاعداء ، وراحت ابواق حلف بغداد ، ومزامير مبدأ ايزنهاور ، تهلل وتكبر ، وتوضح لمن صعب عليه الوضوح ، ان الاردن خرج نهائيا من المعسكر الرباعي ، معسكر التحرر .

وخرجت معه الى حد ما ، المملكة السعودية ، فقد بارك الملك سعود ما قام به الملك حسين ، واجتمع العاهلان ، واصدرا بلاغا مشتركا يلح على مكافحة الشيوعية ، ويتجاهل تماما مبدأ الحياد الايجابي ، حجر الزاوية في الحلف الرباعي .

وتلا ذلك تقارب بين الرياض وبغداد،مهرتهزيارةالملك سعود مع حاشية كبيرة لبغداد . وتلقى الملك حسين دعوة للحاق بالملكين سعود وفيصل ، لكنه اعتذر في اللحظة الاخيرة ولم تكن قد عرفت الاسباب عند كتابة هذه السطور .

في الحقل الخارجي : قررت الحكومة الجديدة الغاء قرار الحكومة السابقة باقامة تمثيل ديبلوماسي مع الاتحاد السوفياتي .. وباركت اميركا بلسان رئيسها ووزير خارجيتها انتفاضة الملك حسين .. واعلنت حرصها على استقلال الاردن . وقامت بمظاهرة حربية ، فارسلت اسطولها السادس الى شواطيء شرقي المتوسط . ثم حلت كيسها ـ ودون قبول الاردن رسميا بمبدأ ايزنهاور ـ ونقدت الاردن مبلغ عشرة ملايين دولار ..

واعيد الى الجيش الضباط الذين سرحوا يوم طرد الجنرال غلوب ، وغيرهم من الموظفين . ولئن ذكرنا هذا في معرض الحديث عن الحقل الخارجي ، فلان فصل هؤلاء الضباط واكب حادثا خارجيا خطيرا .. فكانت عودتهم بمثابة مواكبة لحادث خارجي آخر ، انما في اتجاه معاكس.

*

وهكذا ، عاد «الاستقرار» الى الاردن ... كما تروج الحكومة الاردنية ووكالات الانباء الاجنبية ، استقرار هو اشبه ما يكون باستقرار النار تحت الرماد . استقرار اين منه استقرار الحال ايام غلوب باشا ؟

لقد انعطف الاردن انعطافا مباغتا ، بل انه استدار على نفسه ، ومشى في الاتجاه المعاكس ، تحت وعيد الدبابات والرشاشات . لكن الى متى يمكن ان يدوم حكم الدبابات والرشاشات ، ما دام الشعب باكثريته الساحقة ، قد اختار سلوك الطريق الاولى ، مع شقيقتيه مصر وسوريا ؟

والى متى تستطيع حفنة من رماد ان تخفي نارا متأججة ، تذكيها انبل عاطفة وطنية على وجه الارض ، عاطفة قوم شردوا عن ديارهم ، وحرموا حتى من بيوتهم وكل مقدساتهم ؟

*

تجاه هذه النكسة ، وقفت مصر وسوريا موقف المتريث ، عملا بالقول المأثور : انتظر وانظر ، لكن لا بد من يوم قريب ، يتحتم فيه على القاهرة ودمشق ان تقولا كلمتهما ، بلغة رسمية ، اكثر من لغة الصحف والاذاعات . فاتفاق التضامن العربي يوجب على مصر ان تدفع خمسة ملايين جنيه في العام للاردن ، وعلى سوريا نصف هذا المبلغ . فهل تدفعان لحكومة انسلخت تماما عن سياستهما ، وناصبتهما العداء ، بطريق التلميح ان لم يكن التصريح ؟

من البديهي ان غاية سوريا ومصر هي اقالة عثار الاردن . ومساعدتهما تذهب في الاساس الى الشعب والجيش . لكن حين تكون ادارة هذه المساعدة في ايد توجه الاردن توجيها خطرا او غير حميد ، وتستغلها في مكافحة العناصر التقدمية والاتحادية بحجة مكافحة الشيوعية ، فماذا يجب ان يكون موقفهما ؟

بديهي ان مصر وسوريا لا تريدان ان تخطوا خطوة تسرع . وهما تعلمان جيدا ان الزمن يعمل لمصلحتهما، فتلك الموجة الشعبية التي حملت الاردن الى صفهما ، قد تكبح لحين ، لكن من المحال ان تحطم . وكل عود الى حياة عادية في الاردن ، معناه عود الاردن الى محله الاول في مجرى التاريخ العربي الحديث .

اننا مؤمنون بذلك ايماننا بدوران الارض ...

## العروبة في معركة لبنان الانتخابية

في التاسع من حزيران المقبل تبدأ الانتخابات العامة في لبنان . ويبدو من بوادر المعركة ، بل من مقدماتها ، حتى قبل اذاعة مرسوم الدعوة الى الانتخاب ، انها ترتدي لاول مرة في عهد الاستقلال طابعا شبه عقيدي لا سيما في العاصمة بيروت .

فمرشحو المعارضة يتهمون الحكومة ـ في جملة ما يتهمونها ، لكن الذي يهمنا هنا هو هذه التهمة بالذات ـ انها انحرفت عن الطريق العربي ، وبذلك خرقت مبدأ اساسيا من مبادىء الميثاق الوطني الذي جمع اللبنانيين بمختلف طوائفهم على صعيد واحد ، ويتجلى هذا الانحراف ـ حسب رأي المعارضة ـ في الاتجاه الى الغرب ، ابان اصطراع العرب مع الغرب ، وابتعادها عن سياسة سوريا ومصر ، بل مكافحتها لسياستهما ، وقبولها بمبدأ ايزنهاور الذي يخرج لبنان عن الحياد بين المعسكرين الدوليين الجبارين ، ويلقيه في اتون الحرب الباردة ، كما يلقيه في احضان الغرب ، قبل ان تحل مشكلات كثيرة حيوية بين الدول العربية والغرب .

وحين تزعم الحكومة انها ما زالت وفية لجامعة الدول العربية وان غير دول عربية قبلت مبدأ ايزنهاور ، كالعراق وليبيا ، واخيرا السعودية، يرد المعارضون بأن اوضاع لبنان تختلف عن اوضاع هذه البلدان . وان لبنان حين قرر السير في الركب العربي ، انما قرر ان يسير مع اكثر البلدان العربية رقيا وتقدما ، لا مع اكثرها تخلفا ..

والعجيب ان العناصر اللبنانية التي كانت تأبى السير مع القافلة العربية بحجة انها متخلفة بالنسبة الى لبنان ، هي اليوم بوجه عام ، اكثر العناصر تحمسا للمتخلفين من العرب وسخطا على المتقدمين ..

والمعارضون مع حبهم للعراق ، لا يستطيعون ان يفهموا لماذا يجب ان يقفز لبنان فوق سوريا ليصافح العراق .. ونقول يقفز لاننا لا نريد ان نستعمل كلمة « يدوس » مثلا .. انهم رغم حبهم لليبيا ، لا يفهمون لماذا يجب ان يحذف مصر ليصل الى ليبيا ..

وشيء عجيب آخر ، هو ان لبنان كان قبل أزمة السويس ، حريصا على الحياد حتى بين المعسكرين العربيين ، المثلين بالقاهرة وبغداد . وكان ينادي بضرورة بقائه واسطة خير بينهما ، وان من مصلحته الابتعاد عن كل المنازعات ، ثم اذا هو فجأة ، ودون سابق انذار ، لا يخرج فقط عن الحياد بين المعسكرين العربيين ، بل بين معسكري الشرق والغرب الدوليين ..

***

وعلى الرغم من هيمنة هذا العامل العربي على المعركة الانتخابية الوشيكة ، فمن المجازفة القول بانها ستكون بمثابة استفتاء حول هذا الموضوع ، ذلك ان عوامل كثيرة تتدخل في الانتخابات بلبنان .

زد على ذلك ، ان الحكومة المشرفة على الانتخابات ، لها مرشحوها في كل دائرة .. ويخشى من تدخلها لمصلحتهم بشكل من الاشكال ، او بكل الاشكال ..

يبقى ان المعارضة قوية ، سواء ادخلت المجلس الجديد أم لم تدخله . وتركيب لبنان المختلف عن كل تركيب في دنيا العرب ، لا يتحمل معارضة عنيفة ، لا سيما على صعيد العقائد والمبادىء الاساسية . فهو يعيش عندئذ في وعكة دائمة . وعلى حكامه قبل اي كان ان يعملوا على ازالة اسباب هذه الوعكة ، ويتلافوها بنوع من التسوية ، التسوية التي تعودها لبنان الجديد منذ عام ١٩٤٣

## عرش الرياض

قيل ان انحراف المملكة السعودية بعض الشيء عن كتلة القاهرة ، انما مرجعه خوف الملك سعود على عرشه .. وقيل ان الدساسين من اذناب الغرب ، القوا في روع الملك ان الخطر عليه لا يأتي من بغداد ، أي من الهاشميين وانما من القاهرة ، أي من جمال عبد الناصر ..

فالرئيس عبد الناصر اطاح بعرش ، وانشأ جمهورية .. وفتح بابا للتعامل مع الاتحاد السوفياتي والصين الشعبية .

وكل هذا يؤلف خطرا على مملكة الجزيرة ..

ونحن نعتقد ان الملك سعود بثاقب بصره ، لا يمكن ان يعير هذه الاراجيف اذنا صاغية . فكل عاقل في العالم العربي ـ مهما يكن متطرفا في آرائه الجمهورية ـ يدرك ان النظام الملكي هو خير نظام في الوقت الحاضر ، ومن هنا الى سنوات ، في المملكة السعودية .

فلا الحياة الاجتماعية ، ولا المستوى الثقافي ، يؤهلان لاي نظام برلماني او جمهوري .

والعشائر التي تؤلف كثرة السكان ، لا تحكم جمهوريا ولا برلمانيا . انما تحكم عن يد ملك تقي عادل قوي الشكيمة محب للخير .

وكلما ازداد الملك سعود قوة وحبا للخير ، كان ذلك في مصلحة العرب، ومنتهى ما ينشده القوميون العرب ، في سائر اقطارهم ..

وعندما نقول هذا ، لا نريد ان نقول ان الخطر على الملك سعود هو من الهاشميين .. فهذه ايضا دسيسة نحاربها بكل قوانا ..

ان العرب لا خوف عليهم اليوم لا من الملكية ، ولا من الجمهورية ، ولا من الشيوعية ..

الخوف هو من الصهيونية .

ولكي نقوى على الصهيونية ، لا بد لنا من نظام داخلي تقدمي متطور ، يرفع مستوى السواد الاعظم ، في حقول التربية والاجتماع والاقتصاد. وكل ملك ، او رئيس جمهورية ، يكافح هذا التطور انما يكون عدو نفسه ، وعدو نظامه .

**محمد النقاش**


صدر حديثا

أحاديث

للدكتور طه حسين

فصول بارعة يعالج بها عميد الادب العربي قضية المرأة والادب النسائي . يصور هذا الكتاب جانبا طريفا من ادب طه حسين وموقفه من المرأة .

دار العلم للملايين